والأديرة التي بناها جوستنيانوس في المدينة نحو سبعين كنيسة وديراً. كما شهد هذا القرن نشاطاً خاصاً للأرمن في القدس حيث قام فيها حيّ خاص بهم[2].

إلا أن مطالع القرن الميلادي السابع حملت للقدس تغييرات مهمة كان أولها احتلال الفرس لها عام 614م وفي عهد الامبراطور البيزنطي هرقل، فقد زحف القائد الفارسي شهربراز إلى المدينة وحاصرها عشرين يوماً ثم دخلها عنوة وقتل «سبعة وخمسين ألفاً» من النصارى وأسر «خمسة وثلاثين ألفاً» وأحرق الكنائس وقبض على «زخريا» بطريرك المدينة، واستولى على عود الصليب وأرسله إلى فارس. وكان اليهود قد ساعدوا الفرس على احتلال المدينة، فلما استقر الأمر للقائد الفارسي فيها طرد اليهود منها وأمر بترميم الكنائس والأديرة، ولكن هرقل عاد فاستردّ المدينة من أيدي الفرس بعد خمسة عشر عاماً من حكمهم لها، كما استعاد الصليب المقدس، وقد دخل المدينة، منتصراً، ومعه الصليب المستعاد، من «الباب الذهبي» الذي أقامه في السور الشرقي، وأعاد الصليب إلى مكانه، وكان ذلك في الثالث والعشرين من آذار عام 630م[3].

ويذكر المؤرخ اليهودي «دان باهات» أن مخططاً للقدس وضعه، في القرن الميلادي الخامس، المهندس «تيودوسيوس»، وتظهر، في هذا المخطط، الأماكن المسيحية المقدسة في المدينة وبعض الأماكن المهمة الأخرى، مثل: قبر السيدة العذراء، وقبر السيد المسيح، وقبر زكريا، وقبر القديس سمعان، وقبر القديس يعقوب، وكنيسة القديس بطرس، وكنيسة القديس اسطفان، وكنيسة القديسة مريم، وطريق الجلجلة، وبازيليكا جبل صهيون (وتسمى أم الكنائس، وقد بنيت عام 390م) وحوض سيلوام، وبيت بيلاطس البنطي الخ...[4].

ورغم الانتقادات التي يوجهها «باهات» لهذا المخطط، من حيث عدم دقة المسافات بين هذه الأماكن، بحسب رأيه، فإن هذا المخطط يقدم لنا صورة واضحة وشبه كاملة لشكل القدس عشية الفتح الإسلامي (انظر المخطط رقم 5).

---

(2) Ibid., p. 77. والعارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ص 75.

(3) رستم، أسد، الروم وصلاتهم بالعرب، ج 2، ص 224 ـ 228، وانظر: Bahat, Op. Cit., p. 78-79.

(4) Bahat, Ibid., p. 79.